

مجلـــــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمــــــة

فصليــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: ثلاثة وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٣٩هـــ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: ثلاثة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

جماليات التصوير الفني في سورة الزلزلة

م.د. صبا شاكر محمود الراوي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٤/٢ تأريخ القبول: ٢٠١٣/٥/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا
لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ
ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ
﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ سورة الزلزلة، الآية: ١ – ٨

المقدمة :-

سورة الزلزلة ثمان آيات، وقد سميت في كلام الصحابة سورة : (إذا زلزلت) وسميت في كثير من المصاحف ومن كتب التفسير (سورة الزلزال) .وسميت في مصحف بخط كوفي قديم من مصاحف القيروان (زُلزلت) ، ولكن تسميتها(سورة الزلزلة) تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها.

وهي من السور المختلف في مكان نزولها*، فهي مدنية في المصحف ومكية في عدد من الروايات.

أما عن سبب نزولها فقد قال مقاتل: نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة و الجوزة ويقول: ما هذا شيء وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة ويقول: ليس علي من هذا شيء إنما أوعد الله بالنار على الكبائر فأنزل الله عز وجل يرغبهم في القليل من

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

الخير فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [(١)].

وهذه السورة تعد مشهداً حيا من مشاهد يوم القيامة ، فهي تصور لنا هذه الدنيا وهي في اضطراب وحركة شديدة ، وذلك حينما تقوم الساعة وتتغير أنظمة الكون وهذا الموقف يصل إليه الناس وهم في أشد وأصعب ساعات حياتهم ، فهم يسمعون القيامة بأذانهم ، ويشاهدونها بأعينهم ، ويرون هذه الأمور التي تحدث ، والتي لا تطيق الإسماع أن تسمعها ، ولا الأبصار أن تدركها، يرونها رأي العين ويسمعونها سماعا حقيقيا ، فهي وعد من الله ، ولن يخلف الله وعده.

والناظر في سور القرآن ، والمنصت لآياته يرى هذا المشهد حاضرا أمامه ، فالله (سبحانه وتعالى) يرسم لنا المشهد ويصوره بالأحرف والكلمات ، فلكل حرف دلالة ، والنص القرآني له جمال وحلاوة ، كما عبر عنها الوليد بن المغيرة بقوله : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة.

والتصوير الفني هو "الأداة المفضلة في أسلوب القران ،، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة "[(٢)]، فهو يحوّل المعنى إلى صورة ، فإذا هي تصبح واقعا شاخصا أمامنا ، وقد "تناول القرآن الكريم الدنيا والآخرة في معان وصور مرسومة شاخصة للعين ، ولم يتناولها فكرة مجردة، لتظل ماثلة في الأذهان"[(٣)] ولتؤثر في المتلقي فتعطيه متعة وتشويقا وانتباها في كل جانب من جوانبها.

---

*اختلف المفسرون في مكية هذه السورة أو مدنيتها، فهي مدنية في المصحف ،ومكية في بعض الروايات وذلك لإسلوبها التعبيري وموضوعها القريب من موضوعات السور المكية، لكن لا تأثير لمكيتها أو مدنيتها في أسلوبها وصورها الفنية.

(١) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد أبو طاهر بن عاشور ، الدار التونسية ، د.ت: ٣٠ / ٤٨٩،٤٩٥

(٢) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، مطبعة أنوار دجلة – بغداد : ٧٠

(٣) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، احمد فتحي عامر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥م: ١٢٤ .

وقد كشف هذا البحث عن القيم الجمالية والتعبيرية للتصوير القرآني في سورة الزلزلة.
ومن المعلوم أن جماليات النص القرآني وقابليته التعبيرية تظهر واضحة في ثلاثة محاور رئيسة هي :-

١. المفردة .
٢. الصورة الفنية .
٣. نسق النظم .

فالمفردة القرآنية ذات قدرات خاصة تتمتع بها قبل دخولها حيز التركيب والسياق ، ولكل مفردة دلالة خاصة بها ، يتجلى فيها الإشعاع التصويري الجميل من خلال الجمل والتراكيب ، فتتآخى المعاني وتتلاقى الألحان في انسجام وتوازن ، ويصاحب ذلك كله الصور الفنية الجميلة المنبثقة من هذا التآلف المنسجم للدلالة على المعنى المطلوب.
والسياق هو الذي يُضفي على المفردة مصاحبات دلالية وتصويرية تُعطيها ملمح التفرد والتميز. فالجمال التصويري يظهر أولاً في اختيار المفردات المناسبة للمعنى ومن ثم توظيفها في السياق.

أما الصورة فهي وسيلة خاصة في التعبير ، تمتاز بتحقيق الإثارة والمتعة والدهشة لدى المتلقي ، فتثيره إثارة خاصة تدفعه إلى موقف أو سلوك معين ، وبهذا تحقق الصورة الفنية جمالية التعبير والمتعة الذهنية والتأثير بطريقة لا يمكن للغة العادية أن تؤديها.

والصورة القرآنية تخاطب مراكز الوعي كلها في المتلقي فلا تلغي دور العقل أو غيره عند صياغتها ، كما تتميز الصورة الفنية في القرآن بسعة انتشارها على مساحة واسعة من النسق القرآني ، فتجمع في الوقت ذاته بين الهدفين : الديني والفني في آن واحد . وذلك لأن الصورة في النسق القرآني لا تقتصر على الصورة البلاغية وإنما تتعداها إلى الصورة الحقيقية حين تحمل عنصر الخيال والإثارة " فالصورة القرآنية نموذج حي فعال للتأثير على النفس"[١] .

أما الجمال في نسق النظم فيبدو واضحا بدراسة الآيات والظواهر الأسلوبية

---

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، دار المنارة ، جدّة – السعودية ، ط١ ، ١٩٩١م: ١٢٥ .

والتعبيرية التي تظهر فيها، مثل : التكرار ، التقديم والتأخير ، الحذف ، التخمين وغيره. ونظرا لما سبق قسمنا البحث على ثلاثة أقسام :-

درسنا في الأول منها (المعنى البلاغي والفني لمفردات السورة) وبينا سبب الاستعمال البلاغي لعدد من مفردات السورة.

ووضحنا في الثاني منها (التصوير الفني في السورة) وحددنا أهم ملامحه التي تؤثر في الإنسان وتُثير فيه مشاعر الرهبة والخوف من ذلك المشهد المروع ليوم القيامة. أما في القسم الثالث فقد ذكرنا أهم (الظواهر الأسلوبية في السورة) والتي ساندت الصورة الفنية في رسم مشهد البعث والنشور ، فتطرقنا أولا إلى ظاهرة (براعة الاستهلال) ثم اتبعناها بظاهرة قلّما نفقدها في مشاهد يوم القيامة وهي ظاهرة (الإسناد المجازي) ثم ظاهرة (التكرار) التي تعد لافتة للنظر في هذه السورة ،ثم تكلمنا عن(الاستفهام) الموجود في السورة و(القصر والوصل)ثم ختمناها بدراسة(فواصل السورة) .

فجمالية التصوير إذن تظهر أولا في دقة اختيار المفردة المناسبة للمعنى ، ومن ثم توظيفها في السياق . والمفردة القرآنية لها قيمة جمالية فنية في سياق البلاغة القرآنية ، ولهذا سنبدأ بحثنا بمفردات السورة وبلاغتها.

أولا : الاستعمال الفني والبلاغي لمفردات السورة:

إن اللفظة هي اللبنة الأساسية في البناء اللغوي ، وهي الأداة التعبيرية التي يستخدمها الإنسان لتوصيل المعنى المراد . والمتأمل في مفردات القرآن الكريم يجدها قد اختيرت اختيارا فنيا دقيقا للتعبير عن المعنى . فاختيار الكلمات في القران الكريم أمر عجيب ، يقوم على الدقة التامة في اختيار الكلمات ووضعها وضعا فنيا في غاية الروعة والجمال.

فاللفظ في القرآن له تفرده ودقته من حيث المعنى والدلالة والسياق ، و" كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفا، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً "(١)

(١)الإعجاز البياني للقرآن بين النظرية والتطبيق ،د.حنفي محمد شرف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة(١٩٧٠) :٢٢٢ .

ومفردات هذه السورة كغيرها من مفردات القرآن الكريم ، إذ إنها قد استعملت استعمالا فنيا رائعا بحيث لا يغني عنها غيرها . فلو استعملت ألفاظا غيرها لما أدت المعنى المراد من السورة وهو وصف يوم البعث والنشور ، ونحن كما نعلم أن "الألفاظ المختارة لموقف القيامة، بالغة الإثارة قوية الوقع إما بعنفها كالزلزلة ، والرج ، والدك ، والنسف ، والرجف ، والمور ، والصيحة والانشقاق .. وإما بدقتها كمثقال الذرة ، والهباء المنبث ، والعهن المنفوش"(١) ، وهذه وقفة تأملية في الاستعمال الفني لعدد من مفردات السورة:–

١) **زلزلت** :– إن الزلزلة هي الحركة العنيفة القوية والاضطراب الشديد . وهذا الفعل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين(٢)، "وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه"(٣)

ومعنى زلزلت الأرض : أي اهتزت وارتجفت وتحركت حركة شديدة . وقد استعمل هذا الفعل ولم يستعمل احد هذه الأفعال المرادفة له ، لبيان هول الموقف ، إذ إن الزلزال يجعل الإنسان يشعر بالضعف والحيرة والخوف ، ولو استعمل فعل آخر مرادف لهذا الفعل لما أعطى هذا المعنى.

وقد أُكد هذا الفعل بمصدره المشتق من لفظه لتأكيد قوة هذا الزلزال العام الذي يحرك الأرض بما عليها ، فتتزلزل الأرض زلزالا عنيفا يفوق الزلازل كلها .

فالفعل (زلزل) أقوى بوقعه وتكرير حروفه من الأفعال المرادفة له ، لأن موقف يوم القيامة يحتاج إلى أفعال قوية ومؤثرة لإيقاظ الإنسان وتنبيهه إلى مآله . ولهذا فهو أدق في إيصال المعنى المراد من السورة .

٢) **أثقالها** : الأثقال هي جمع (ثقل) وهو المتاع أو الحمل الشديد وهو نقيض الخفة(٤)،

(١) التفسير البياني ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف – مصر ، ط٤، ١٩٧٤م : ٨٠/١ .

(٢) لسان العرب ،للإمام ابن منظور(٧١١هـ)،دار إحياء التراث العربي ،بيروت_لبنان ط٣،د.ت: ٧٢/٦-٧٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، العلاّمة الراغب الأصفهاني ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ٢٠٠٩م: ٢٣١ .

(٤) لسان العرب: ١١٢/٢.

وأصل استعماله كما يقول الراغب الأصفهاني : "في الأجسام ثم في المعاني نحو: أثقله الغرم والوزر "[١]

وقد تأول المفسرون هذه اللفظة تأويلات عدة ، فقالوا إن الأثقال هي ما في جوفها من الدفائن والكنوز والموتى[٢]. وقيل أن الأثقال هي "ما فيها من معادن ومياه وصخر"[٣]. إلاّ أنّ هذه التأويلات لا تؤدي المعنى المراد من اللفظة ، إذ إنها تدل على كل شيءٍ مثقل للأرض لا على شيء بعينه،وإضافتها إلى ضمير الأرض يؤكد هذا المعنى، "والتأويل بـ : أخرجت الأرض ما في جوفها ، يضيع به هذا الإيحاء المثير ، اللافت إلى المعهود من لهفة ذي الحمل الثقيل على التخلي عما يؤوده ويبهظه "[٤]
فالتعبير بهذه اللفظة تعبير جميل إذ إنه تشبيه لأثقال الأرض بالأسرار – فكما أنّ السر ثقيل على قلب صاحبه ولا يرتاح إلا إذا أخرجه – فكذلك الأرض ، فإن كل ما عليها مثقل لها فتقذفه في ذلك اليوم وترتاح وهذا ما يؤكده قوله تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ الانشقاق

٣) الإنسان :- المقصود به في السورة العموم ، فالتعريف فيه "تعريف الجنس المفيد للاستغراق"[٥] أي انه يشمل الكافر والمؤمن وذلك لأن الكافر "يرى ما لم يقع في ظنّه قط ولا صدقه ، والمؤمن وان كان مؤمنا بالبعث فإنه استهول المرأى"[٦]

(١) المفردات: ٩١ .

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٤٧م: ٧٨٣/٤ ؛ والبحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي(٧٥٤هـ) ، تحقيق :الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م: ٤٩٦/٨ .

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٩١.

(٤) التفسير البياني: ٨٥/١ .

(٥) التحرير والتنوير : ٤٩١/٣٠ .

(٦) البحر المحيط : ٨ /٤٩٧ .

أما القول بأنّ المقصود بالإنسان هنا هو "الكافر خاصة ، لأنه كان لا يؤمن بالبعث"[١] فنراه بعيدا لأنه ليس في السورة دليل على هذا التخصيص "والاستعمال القرآني للفظ الإنسان لا يؤيده ، ثم هو تخصيص لا يقوى به المعنى ، فلأن تكون رجة الزلزلة ، وهول الموقف مما يروع الإنسان على الإطلاق ، كافراً كان أم مؤمناً ، أقوى من أن يقتصر الدهش والعجب على الكافر وحده "[٢]

فاستعمال لفظ الإنسان ودلالته على العموم هو المراد من معنى السورة لأن زلزلة الأرض تجعل الإنسان يرتعد خوفا من هول الموقف فيتساءل عما يحدث في الكون ويزلزل الأرض هذا الزلزال العجيب ، والاقتصار على تفسيره بالكافر وحده لا يؤدي هذا المعنى .

٤) **يصدر** : الصدر في اللغة : هو الانصراف عن الورد وعن كل أمر. أي الرجوع عن الماء. واصل استعماله في العربية هو نقيض الورد[٣].

فالصدر في الآية هو الانصراف عن الحياة الدنيا ، وهو مقابل للورد إليها ، إذ إن "في ربطهما سر الدلالة الموحية بأن الحياة الدنيا ليست بدار مقام ، وإنما هي رحلة نجتازها ولا بد من تأمين طريق العودة والصدر"[٤]، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الصدر هو خروج الناس إلى الحشر ، وقيامهم للبعث[٥]. إلا انه لا يمكن الاستغناء عن هذا الفعل بأي فعل آخر ينوب منابه ، لأن استبداله بالخروج أو القيام يضيع دلالته بأنه نقيض الورد ، إذ به وحدة تتمثل للناس "الدنيا مورداً يجب أن يؤمنوا الصدر عنه"[٦]

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ، دار بن كثير – دمشق ، بيروت ط١٠ ، ٢٠٠٩م: ٣٨٠/٣٠ .

(٢) التفسير البياني : ١ /٨٦ .

(٣) كتاب العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)،تحقيق د.عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت _لبنان ط١(٢٠٠٣م):٢/ ٣٨٣، لسان العرب: ٧ /٣٠١ .

(٤) التفسير البياني: ١ / ٩٣ .

(٥) ينظر، البحر المحيط : ٨ / ٤٩٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي ، تحقيق : رضا فرج الهمامي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م: ٤٠٨ .

(٦) التفسير البياني : ١ / ٩٣ .

وصدورهم يوم القيامة هو "انصرافهم من المحشر إلى مآويهم من الجنة أو النار ، تشبيها بانصراف الناس عن الماء بعد الورد"[١] ووردهم هو ورد المحشر .فضلا عن هذا فان أصوات الفعل (يصدر)التي " تبدأ من الداخل العميق إلى السطح تجسد خروج الناس من الأجداث بيسر "[٢] وتكون أكثر مناسبة من بقية المرادفات كـ(يخرج أو يقوم أو يرجع أو يرد...)إذ تعبر فيه قوة الصاد عن قوة الزلزلة التي تخرج الناس من مصدرهم أشتاتا[٣].

٥) **أشتاتاً** :- جمع (شت) وهو التفرق والاختلاف ، وأشتاتاً أي متفرقين ، والتفرق إمّا أن يكون نقيض الجماعة أو أن يكون تفرق جماعات وفرق ، فكل فرقة تتجه بجهة على حسب عملها[٤]. لكن من الواضح من سياق الآية وهدفها أن التفرق هنا مقابل للتجمع إذ "مع الجماعة يكون نوع من الأُنس والأُلف لا يتاح مع التشتت والتفرق لاسيما في موقف الهول الأكبر "[٥].

فالموقف يقتضي أن يكون التفرق نقيضا للجماعة أي يصدر كل إنسان وحده ، لا ناصر له ولا عاضد ، وهذا ما يثبته قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام، ٩٤) . فهذا هو التفرق الحقيقي الذي يثير مشاعر الفزع والخوف والرهبة .

٦) **مثقال ذرة** :-المثقال هو وزن معلوم قدره[٦] . والمقصود بالذرة هنا هو خفة الوزن وصغره . وقيل إن الذرة هي النملة الصغيرة أو الهباءة التي ترى في ضوء الشمس[٧] ، لكن الذرة . في حقيقتها . هي "اصغر بكثير من تلك التي ترى في ضوء الشمس، فالهباءة

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩٣ .

(٢) الإعجاز الصوتي في قصار السور د.أحمد فليح، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد (١٢)،العدد (٥)حزيران (٢٠٠٥م):١٧.

(٣) بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عمّ يتساءلون)(اطروحة دكتوراه)،عزة عدنان أحمد عزت،إشراف :د.رافع عبد الله العبيدي ،جامعة الموصل ،كلية الآداب (٢٠٠٥م):٢٤١ .

(٤) لسان العرب:٢٦/٧ .

(٥) التفسير البياني : ١ / ٩٤ .

(٦) كتاب العين : ١ / ٢٠٤ .

(٧) لسان العرب: ٥ / ٣٣ .

ترى بالعين المجردة أما الذرة فلا ترى أبداً حتى بأعظم المجاهر في المعامل"(١) فتحديد مقدار الذرة لم يكن مقصودا في هذه الآية ، وإنما جاء بها القرآن للتعبير عن ضآلة الحجم وخفة الوزن ، فالعرب لم يفهموا من قوله تعالى (مثقال ذرة) إلا انه الشيء المتناهي في الصغر والخفة ، ولهذا فسروه بالهباءة التي لا وزن لها . وهذا ما يتلاءم مادياً ومعنوياً مع جو المشهد من الرّج والزلزال والانفجار والتشتت والتفتيت .

وهكذا نرى أن ألفاظ السورة جميعها قد استعملت استعمالا فنيا بلاغيا معبرا عن موضوع السورة وهدفها.

ثانيا :- التصوير الفني في السورة :-

استعمل القران الكريم أساليب متعددة لتنبيه الإنسان وإيقاظه من غفلته حتى ينتبه إلى معاده ومآله الأخير، ومن أهم هذه الأساليب وأكثرها حضوراً هو أسلوب التصوير الفني الذي ظهر واضحا جليا في هذه السورة لتصوير يوم القيامة والبعث والنشور ، فهي "هزةٌ عنيفة للقلوب الغافلة. هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي ، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها. فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار"(٢)

بدأت السورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ بتصوير حالة الأرض يوم القيامة ، إذ إنها تتحرك وترتجف ارتجافا ، وتزلزل زلزالا ، وهذا الزلزال يجعل الإنسان يشعر بضعف وحيرة وخوف ، لأن مسنده كان إلى هذه الأرض فإذا تحركت واهتزت فانه حينئذ سيشعر بالضعف والعجز أمام هذه الحركة ولاسيما إذا علم أن هذه الزلزلة زلزلة عامة ، تحرك الأرض بما عليها ، فليس له مسند ولا ملجأ يلتجئ إليه ، بعد ما كان يحسب أن كل ما على الأرض ثابتا باقيا.

وفي إضافة الزلزلة إلى ضمير الأرض تصوير لقوة هذا الزلزال الذي تهون الزلازل كلها دونه، فضلا عن تمكن هذا الزلزال من الأرض وتكرره حتى كأنه عرف

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م: ٦ / ٣٩٥٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٦ / ٣٩٥٤ .

بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها "ولو لم يضف لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل"[١] ففي هذا التصوير يرسم القرآن حالة مخيفة تبين عجز الإنسان وانقطاع السبل به ، فليس له مهرب من مصيره المحتوم ، إذ كلّ شيء يهتز أمامه ويتحرك.

وما أن تنتهي هذه الصورة المرعبة الغريبة حتى تبدأ صورة أخرى أكثر غرابة من الأولى ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾ .

فنرى منظر الأرض وهي تلقي كل ما عليها وما يُثقلها من (الأموات والكنوز والذخائر وغيرها) أي كل شيء مثقل لها وطالما أتعبها حمله ، فتطرحه في ذلك اليوم لترتاح.

وفي هذه الصورة تتجسد الأرض كأنها كائن حيّ قد أتعبه حمله ، وهذا تعبير جميل يلفتنا إلى "ما توحي به من اندفاع للتخلص من الثقل الباهظ ، فالمثقل يتلهف على التخفيف من حمله ، ويندفع فيلقيه حين يتاح له ذلك . والأرض إذ تخرج أثقالها تفعل ذلك كالمدفوعة برغبة التخفف من هذا الذي يثقلها ، عندما حان الأوان"[٢] ويعد هذا (إسناد مجازي) إذ إن الأرض مكان الفعل وليست فاعلة، وفي هذا الإسناد تخييل محرك ومثير يجعل المتلقي يرى الأرض فاعلة جاهدة تخرج أثقالها[٣].

وهذا المنظر يهتز أمامه المستمعون ، ويصحو الإنسان الغافل الملتهي بملذاته وينتبه لهول ما يحدث أمامه، فيقف مندهشا ومتعجبا من هول ما يرى ، فيتجسد هذا التعجب بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ .

فيتعجب متسائلا عما يحدث للأرض ، وعما يحركها هذا الزلزال ، فيلفظ من غير إرادة : مالها ؟ "وهو سؤال المشدوه والمبهوت المفجوء ، الذي يرى ما لم يعهد ، ويواجه ما لا يدرك ، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه والسكوت ، مالها ؟ ما الذي يزلزلها هكذا ويرجها رجا ؟ وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ويحاول أن يمسك بأي شيء يسنده

(١) البحر المحيط : ٨ / ٤٩٦ .
(٢) التفسير البياني : ١ / ٨٥ .
(٣) خصائص التراكيب_دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني _محمد أبو موسى ، دار التضامن ،القاهرة ط٢(١٩٨٠م):٩٠ .

ويثبته ، وكل ما حوله يمور موراً شديداً "[١] هكذا يكون حال الإنسان في ذلك اليوم ، فيصحو من غفلته على هذه المفاجأة.

ثم يفاجأ ثانية عندما يأتيه الرد على سؤاله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ أي ذلك اليوم الذي سيقع فيه هذا الزلزال ويشده أمامه الإنسان ، "وسر التعبير بيومئذ هنا، انه لفت قوي يستحضر معه السامع ما مضى من وصف اليوم، فلا يتابع ما بعد (يومئذ) منصرفا عما قبله، مستقلا عنه "[٢]، ففي هذا اليوم والأرض في هذه الحالة تبدأ تتحدث وتحكي، وتصف حالها ، وهذا تعجب آخر ، هل الأرض تتحدث ؟ وكيف ؟ ولهذا اختلف المفسرون في هذا التحديث أهو حقيقة أم مجاز ؟ فـ "الظاهر أنه تحديث وكلام حقيقة بأن يخلق فيها حياة وإدراكاً فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد"[٣]

ويشهد على هذا ما رُوي عن الرسول (ﷺ) أنه قال :"أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمةٍ بما عمل على ظهرها ، تقول: عمل كذا يوم كذا ، فهذه أخبارها "[٤]

وقيل إن التحديث هو جواب للسؤال السابق : مالها ؟ فتتحدث الأرض "وتصف حالها وما جرى لها ... لقد كان ما كان لها "بأن ربك أوحى لها" ... وأمرها أن تمور موراً ، وأن تزلزل زلزالها ، وان تخرج أثقالها ، فأطاعت أمر ربها ... فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها"[٥] أي أن الله انطقها وقال لها احكي عن سبب الزلزلة، فالخبر واحد لكن "جُمع (أخبارها) باعتبار تعدد دلالتها على عدد القائلين (مالها) وإنما هو خبر واحد وهو المبين بقوله (بأن ربك أوحى لها) "[٦]

وقيل أن تحديث الأرض إسناد مجازي ، وليس حقيقة ، إذ إن أحوالها التي هي

(١) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٩٥٥ .

(٢) التفسير البياني : ١ / ٨٧ .

(٣) البحر المحيط : ٨ / ٤٩٦ .

(٤) سنن الترمذي ، أبو عيس محمد بن عيسى الترمذي(٢٩٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م: ٣ / ٤١٦ .

(٥) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٩٥٥ .

(٦) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩٢ .

عليها تقوم مقام التحديث باللسان "والبيان القرآني المعجز لا ينطق الجماد الأصم فحسب ، بل يجرد منه كذلك شخصية حية ، فاعلة ناطقة ، مريدة مدركة "[1] وسواء أكان التحديث حقيقة أم مجازا ، فإننا نقف أمام صورة فنية معبرة ومدهشة ، إذ إننا نرى الأرض تنطق أو تكاد تنطق لتشهد على الإنسان وما فعله عليها ، وتصف حالها وما جرى لها وجعلها تتحرك هذه الحركة . وهو أمر ربها ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ فسخرها وأمرها أن تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها ، فأطاعت هي أمر ربها وانقادت له ... ثم يعود التصوير القرآني فيقول : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ .

فيأتي الجواب عن سبب الزلزال الذي حدث في الأرض ، وهو إثبات الحشر والتحذير من أهواله والتذكير به ، وما كان هذا الزلزال إلا إنذاراً به ، ففي هذه اليوم يصدر الناس عن الحياة الدنيا وينصرفون عنها إلى مأواهم الأخير ، وهذا تصوير رائع لمشهد البعث والنشور ، ولاسيما إذا علمنا كيفية هذا الصدور وسببه!!! "إنه مشهد لا تعبر عن صفته لغة البشر ، هائل مروّع ، مفزع ، مُرهب مذهل"[2]. إذ يصدر الناس أشتاتاً متفرقين وفزعين من هول ما يرون ، ثم يأتي التفرق الحقيقي ، إذ يظهر كل إنسان لحاله لا ناصر له ولا معين ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس ، ٣٧) .

وهنا يأتي سؤال آخر وهو أشد وأدهى مما سبق ، لما يصدر الناس في هذا اليوم ؟ ..."لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ " أي أنهم مساقون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يريهم أعمالهم ، فليس في الميدان شيء غير الأعمال ، والناس يصدرون حتى يروها ويواجهوها " ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانا أقسى من كل جزاء"[3] فهذه هي الضربة التي توقظ الإنسان من سباته الذي كان فيه ، فيستيقظ وينتبه ليرى عمله ، لكن ما العمل الذي سيراه أمامه ؟

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

---

(١) التفسير البياني : ١ / ٨٨ .
(٢) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٩٥٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٦ / ٣٩٥٥ .

هنا سيواجه كل إنسان بعمله مهما قل أو كثر ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ (الكهف ، ٤٩) .

وقد عبر القرآن عن ضآلة العمل وصغره بـ (مثقال ذرة) للترغيب في عمل الخير ولكي لا يحتقر الإنسان الطاعات ولا يستقل الصدقات مهما قَلّت ، وكذلك الترهيب من عمل الشر وعدم استصغار الذنوب والمعاصي ، لان أعمال الخير والشر جميعها تحضر في ذلك اليوم ويراها صاحبها ثم يجازى عليها .فالكلام في الآية مسوق للترغيب والترهيب معا إلا انه "أوثر جانب الترغيب بالتقديم في التقسيم تنويهاً بأهل الخير"[١] وفي هذا الموقف ليس للإنسان إلا أن يرتعش وجدانه ويهتز أمام كل عمل يراه من أعماله.

فهذه الصورة المرعبة تجعل القلوب _التي طالما لم تتأثر ولم تتحرك لكبائر الذنوب والمعاصي_ ترتعش وتهتز عندما ترى أعمالها ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (آل عمران، ٣٠) .

فتُعرض عليها الأعمال بأدق تفاصيلها وهذا ما يشعرها بالخوف والرهبة ، إذ إنها ستفكر بعقوبة هذه الأعمال وحسابها ، وهذا ما سيؤول بها إلى الندم ومحاسبة النفس قبل أن يحاسبها الله.

وهذه الآية معدودة من جوامع الكلم وقد وصفها النبي (ﷺ) بالجامعة الفاذة. فلما سُئل (ﷺ) عن زكاة الحُمُر قال : لم يُنْزَل عَليَّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذَّة : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره). وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : هذه أحكم آية في القرآن[٢].

ثالثا :- الظواهر الأسلوبية في السورة:

شاع في سورة الزلزلة عدد من الظواهر الأسلوبية التي ساعدت في رسم الصورة الفنية وإظهارها بشكل جميل ومؤثر ، ومن أهم هذه الظواهر ما يأتي:

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩٥ .

(٢) المصدر نفسه، وينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم،صافي محمود بن عبد الرحيم ، د.م ،د.ت: مج١٥ /٣٠/٣٨٤ .

١. براعة الاستهلال[١]

اتصفت السورة . كغيرها من سور القرآن . بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال ، إذ إنها بدأت بـ (إذا الشرطية) التي ليس لها معنى من دون الجواب ، فينتظر المتلقي الجواب ليكتمل لديه المشهد ويتوحد . وقد وقع الجواب بعيدا تشويقا لمعرفة متعلق الظرف (إذا) "وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه بحيث لا يهم الناس إلا معرفة وقته واشراطه فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع المؤقت"[٢] فهذه العبارة إذن ذات ارتباط زمني توقيتي، لأن (إذا) "تكون لزمن من أزمنة المستقبل مختصر من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم "[٣].

وقد جاء بعد (إذا) فعل الشرط (زلزلت) ماضيا ، للدلالة على انه واقع فعلا_إذ إن الأصل في استعمال (إذا) أن تدخل على المتيقن وقوعه ،أو الراجح_و(إذا) هي التي صرفت دلالته إلى المستقبل إذ قد "كثر وقوع الفعل بعدها ماضي اللفظ ، مستقبل المعنى"[٤].

وقد أفادت (إذا) هنا المفاجأة إذ إن اليوم الآخر يأتي بغتة ف "مناط القوة في التعبير هو بغتة المفاجأة وتأكيد الحدث ، وصرف الذهن إليه "[٥] وهنا تبرز براعة الاستهلال بالظرف (إذا) الذي يدل على المباغتة في الحدث الذي بعده . وهو زلزلة يوم القيامة . وبالتأكيد أن هذا الأسلوب اظهر في الترهيب من ذلك اليوم .

وهذا الحسن بالابتداء قابله حسن الانتهاء في السورة فبعد أن بدأت بوصف يوم القيامة وذكر أشراطه ،ختمت بإظهار الأسرار "ورؤية الإنسان لكل ما قدمه من عمل إن خيرا

---

(١) براعة الاستهلال : وهو أن يقدم المتكلم في صدر كلامه ما يوحي بموضوع الكلام ، وما سيرد فيه من قضايا ومعانٍ . ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الشيخ الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا–بيروت ، ٢٠٠٨م : ٤٢١.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩٠ .

(٣) شرح الكافية في النحو ، الشيخ رضي الدين الاسترابادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٥م : ٢ / ١٠١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين عبد الله الزركشي(٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٢م : ٤ / ١٩٥ .

(٥) التفسير البياني : ١ / ٨٣ .

فخير وإن شرا فشر"[١]وهذا مآل الإنسان الأخير الذي سيحدد مصيره إلى الجنة أو النار.

٢. المجاز العقلي (الإسناد المجازي)[٢]:

اطرد في هذه السورة . كمثيلاتها من مشاهد يوم القيامة . إسناد الحدث إلى غير محدثه ، سواء أكان بالبناء للمجهول أم بالإسناد المجازي أم بالمطاوعة .

فتحويل الإسناد إلى غير ما هو له يحدث انحرافاً ذهنياً عن المسار المألوف للعقل ، وهذا مما يثير الانتباه إلى المسار الذي كان يجب أن يسلك في هذا الأسلوب ، مما يجعل العقل يبحث عن الغاية التي بسببها قد حدث التجوز في الإسناد.

والفعل المبني للمجهول يقوم بتصوير أحداث المشاهد التي غابت عن المتلقي وخفيت عليه . والزلزلة هي مشهد خفي غيبي ، جاءت في سياق بث الخوف والفزع والرهبة في المتلقي ، لذلك فقد بني الفعل (زلزلت) للمجهول لصرف الحدث عن محدثه ، فالحدث هنا هو المقصود "إذ يتدفق المشهد تلقائيا لتهيئة الذهن إلى ذلك الحدث الذي سخرت الكائنات لأجله ، فلا حاجة إلى الآمر ولا إلى الفاعل ، فالأرض تزلزل تلقائيا "[٣] في طواعية ،استجابة لتسخير الله لها . فضلا عن هذا فإن صيغة الفعل المبني للمجهول توحي بثقل ذلك اليوم ، ولاسيما أن الزاي الأولى مضمومة والضمة حركة ثقيلة "تشهد بها عملية نطق الضمة التي يكون فيها انكماش الشفاه"[٤]

وقد بني الفعل (ليُروا) للمجهول أيضا ، إذ إن الله تعالى هو الذي يُريهم أعمالهم ويواجههم بها ،فالمقصود هو رؤيتهم أعمالهم لا تعيين من يريهم إياها.والرؤية قد تكون رؤية البصر أو الرؤية المستعملة في العلم ، فضلا عن أن الفعل (يروا) بيائه الثقيلة بالضم "يعبر

---

(١) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع /الإمام جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، المكتبة المكية مكة المكرمة ط١(٢٠٠٢م) :١٨٨_١٨٩ .

(٢) المجاز العقلي (الإسناد المجازي) : هو إسناد الفعل ، أو معناه ، إلى ملابس له ، غير ما هو له ، بتأوّل . ينظر : الإيضاح : ٣٦ .

(٣) التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته– في مشاهد القيامة في القرآن ، د.أياد عبد الودود الحمداني ، مطبعة أنوار دجلة – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤م: ١٤١ .

(٤) جماليات المفردة القرآنية ، د.أحمد ياسوف ، إشراف وتقديم:د.نور الدين عتر، دار المكتبي،سوريا_دمشق ط ٢(١٩٩٩م) :٢٠٧.

عن ثقل ما سيرونه في ذلك اليوم رغما عنهم "(١)، فكان هذا الفعل كالنتيجة لمشهد الزلزلة . إذ لم يُبن للمجهول إلا هذان الفعلان . وكأن رؤية الأعمال هي التي من اجلها حدثت هذه الزلزلة واختل نظام الكون بسببها.

كما أُسند فعل الإخراج إلى الأرض مجازا لأن المخرج الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، والأرض هي مكان الإخراج ، فالعلاقة بينهما مكانية . فأسند الفعل إلى فاعل لا يقوم بالفعل، لإثارة الانتباه ولفت النظر إلى علاقة ما اسند إليه بما كان حقه أن يسند إليه ، وبذلك يصل المتلقي إلى غاية هذا التحول في الإسناد، وهي إفادة التهويل والتفظيع من شأن ذلك اليوم، إذ تتحرك الأرض تحركا شديدا لتنفض ما في جوفها وما يُثقلها ، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال.

فهذا التعبير يصورها فاعلة تقذف بشدة ما بداخلها في مشهد حي يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض. فصيغة الفعل (أخرج) المزيد بهمزة القطع، أفادت تعدية الفعل اللازم (خرج) لتوحي بثقل ما أخرجته الأرض في ذلك اليوم الثقيل.

٣. **التكرار** :-

وهو من الظواهر اللافتة للنظر في هذه السورة ، إذ إنها تعد من قصار السور وتمتاز بقصر آياتها . وهنا سؤال يطرح نفسه ، فكيف يظهر التكرار في سورة وتكون مثالا للإيجاز والقصر ؟ فمن المعلوم أن التكرار يكثر في مواضع الإطناب ، إلا أن وجوده في مواضع الإيجاز يُعد من "أقوى أساليب الترسيخ والإقناع ، وأشدها إيحاء بالحسم والجد "(٢) لأن الإيجاز هنا هو إيجاز موضوع لا إيجاز كلمات "فالسورة الواحدة إذا أوجدت المعاني الكثيرة التي تتوالى متعاقبة مجملة ، فهي مثال للإيجاز مهما حدث التكرار ، لأن المراد من هذا التكرار تقرير حقيقة في النفوس تتبع ما أجمل قبلها من حديث ، فالأسلوب في هذه الحالة يكون موجزا ويؤدي دوره المطلوب في تقري الحقائق ، وغرض التكرار من ورائه تقرير المعاني" (٣).

---

(١) بنية السورة القرآنية الواحدة:٢٤١.

(٢) التفسير البياني : ١ / ٧٩ .

(٣) روائع الإعجاز في القصص القرآني ، محمود السيد حسن ، المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية ، د.ت: ١٣٠ – ١٣١ .

فالتكرار في القرآن الكريم لم يأتِ اعتباطا بلا غاية ولا هدف ، بل جاء لتأدية غرض معنوي ، وتحقيق إيقاع متناغم جميل .

والتكرار يكون على ثلاثة أقسام هي :-

- التكرار في الحرف .
- التكرار في اللفظ .
- التكرار في العبارة (التركيب) .

وهذا "التكرار بشتى أنواعه يحدث نوعا خاصا من الإيقاع تستلزمه العبارة لأغراض فنية ونفسية واجتماعية ودينية" (١)، إذ يولد دلالات تخص المعنى وتمنحه إيحاءات ذات تأثير واضح في القارئ.

وقد جاء التكرار بأنواعه الثلاثة في السورة ، فجاء تكرار الحرف في الفعل "زلزل" وهذا التكرار هو من ضروب البلاغة الناجم عن (تكرار الحروف في الفعل الواحد) "والتزلزلُ الاضطرابُ ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه"(٢) فهذا الفعل يدل على شدة اضطراب نظام الأرض ومعيشة الناس عليها ، لأن الزلزلة تدل على تحرك الجسم في مكانه بشدة .وتضعيف الحروف في الفعل يدل على تكرار هذا الحدث، إذ إن "تكرير الحروف مصاقبا لتكرير الحركة، فنجد أن الزلزلة تشتمل على اضطرابات نفسية متتابعة لا تنقطع ،خصوصا أن الزلزال هائل ولا سيطرة عليه"(٣).

أما تكرار المفردة في السورة فقد جاء بأنماط مختلفة منها :-

• تأكيد الفعل بمصدره في قوله تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ فتكرار الفعل بصيغة مصدره جاء لتأكيد هذا الفعل "إشارة إلى هول ذلك الزلزال"(٤) ، فكان للتكرار هنا اثر واضح في إشاعة جو من تهويل الحدث وتجسيمه.

---

(١) إعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي ، مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس ، ١٩٨٠م: ٢٣١ .

(٢) المفردات: ٢٣١ .

(٣) جماليات المفردة القرآنية:١٥١ وينظر: الإيقاع _أنماطه ودلالاته_في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية (رسالة ماجستير)،عبد الواحد زياد اسكندر المنصوري،إشراف:د.أحمد جاسم النجدي ،جامعة البصرة ،كلية الآداب(١٩٩٥م):١١٨.

(٤) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩١ .

• الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ فأعيد لفظ (الأرض) مع إمكانية وضع الضمير مكانهُ "لترسيخ اليقين ، والإقناع النفسي "[1] إذ إن تكرار اللفظ نفسه له تأثير في المتلقي ، إذ يرسخ فيه الإيمان بذلك اليوم ويزيد شعوره بالرهبة والخوف .

• تكرار اللفظ نفسه : فقد كرر لفظ "يومئذ" في قوله ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ بعد قوله : "﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ لربط المشهد بما قبله فهي إذن "كرّةٌ راجعة إلى ما قبل ، يصل بها القرآن مشاهد الموقف ، ويرد السامع إلى ما سبق من آيات، ويستعيد ما استقر في خاطره من نذر "[2] كما أن تكرار هذه اللفظة تأكيد على قيام هذا اليوم وحدوث هذه المشاهد المتسلسلة فيه .

• الإيضاح بعد الإبهام في قوله تعالى: ﴿ لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فهذا القول مُبهم إذ إن الناس جميعا مساقون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ، لكن ما الأعمال التي سيرونها في ذلك اليوم ...؟ فتاتي الآيتان بعدها ، لتفسر وتوضح هذه الأعمال ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ، فأعمال الخير والشر جميعها تحضر في ذلك الموقف .

وهنا يظهر التكرار في العبارة ، وهذا النوع يعمل على إيقاظ ذهن المتلقي من خلال الجرس المنبعث من ألفاظ العبارة ، فأُعيدت العبارة نفسها في الآيتين للتأكيد على أن الناس سوف ترى أعمالها بأدق تفاصيلها خيرا كانت أم شرا . وجاء هذا الأسلوب للترغيب في عمل الخير والطاعات ، والترهيب من عمل الشر والذنوب والمعاصي .فأعيدت الجملة نفسها "لتكون كل جملة مستقلة الدلالة على المراد لتختص كل جملة بغرضها من الترغيب أو الترهيب فأهمية ذلك تقتضي التصريح والإطناب"[3]،وقد احدث هذا التكرار إيقاعاً صوتياً يتلاءم مع الحدث في الآية.

ولهذا كان التكرار عنصرا مهما من عناصر تكوين الإيقاع وتأكيد المعنى في السورة

(١) التفسير البياني : ١ / ٨٤ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٢/١ .
(٣) التحرير والتنوير : ٣٠ /٤٩٥ .

، فتكرار الحرف أو اللفظة أو العبارة قد أمدّ السورة بجرس صوتي منسجم مع الحدث الذي عرضته ، فأشاع فيها جوا من الخوف والرهبة والفزع من عظم ذلك اليوم .

٤. الاستفهام:

ورد في السورة استفهام واحد فقط وهو ما سيقوله الناس حين يرون زلزلة الأرض وما يحدث لها ،فيتساءلون مذعورين ومدهوشين ﴿ما لها﴾ ؟

وهذا الأسلوب الاستفهامي _الذي يقع فيه حرف الجر (اللام)جارا لضمير المتكلم أو الغائب أو المخاطب_ هو عند جمهور الأئمة ،سؤال عن السبب الحامل على المستفهم منه[١]، فالسؤال في الآية عن سبب الزلزلة لذا وجب تقدير محذوف فيها،فهو "استفهام عن الشيء الذي ثبت للأرض ولزمها لأن اللام تفيد الاختصاص ،أي ما للأرض في هذا الزلزال ، أو مالها زلزلت هذا الزلزال"[٢]

والواضح من معنى السورة أن الاستفهام للتعجب والدهشة والفزع، وقيل إنه للإنكار[٣]،إلا "ان الموقف لم يعد يحتمل الإنكار وقد قامت القيامة فعلا، بعد أن سبقت بها النذر ،وتتابعت بأنبائها رسالات الدين"[٤] فالتعجب هو المناسب لغرابة أهوال يوم القيامة وشدة وقعها على النفوس.

٥. تعدية الوحي بـ(اللام):

إن من المشهور تعدية الفعل (أوحى)بـ(إلى) إلا أنه في هذه السورة قد تعدى بـ(اللام) وهذا مما لفت نظر المفسرين فيها، فذهبوا مذاهب عدة في تعليله ،فقالوا إن اللام بمعنى (إلى) وإنما أوثرت عليها لمراعاة الفواصل[٥]،وقيل إن أوحى لها بمعنى قال لها وهو القول المضمن معنى التكوين أي قال له كن فيكون[٦]،وقيل **إن** الموحى إليه محذوف وهم الملائكة ، أي: أوحى ربك إلى الملائكة لأجل الأرض أي لأجل ما يفعل فيها سكانها ،وهذا القول بعيد

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام ،عبد العظيم المطعني : ٤ / ٢٢٨ .
(٢) التحرير والتنوير : ٣٠ /٤٩٢ .
(٣) التفسير البلاغي للاستفهام : ٣٨٠/٤.
(٤) التفسير البياني : ١ / ٨٦ .
(٥) البحر المحيط : ٤٩٧/٨ .
(٦) الكشاف:٧٨٤/٤ ، التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩٣ .

عن المعنى[١]، وقيل إن (أوحى) بمعنى سمح أي: سمح لها بالتحديث.

إلا أن من الملاحظ في استخدام الفعل (أوحى) في القرآن انه يتعدى بالى إذا كان المخاطب من الأحياء لكن المخاطب في هذه السورة هو الأرض وهي جماد" فالإيحاء هنا مباشرة ليلائم إسناد التحدث إلى الأرض وسر قوته في هذه التلقائية المباشرة على وجه التسخير. ومن هنا كان إيثار التعدية باللام ، لما في معنى اللام من اختصاص، وإلصاق، وصيرورة ،وتقوية الإيصال"[٢] فناسب حرف اللام بدلالته على الاختصاص والإلصاق معنى الإيحاء المباشر للأرض كأنه مختص فيها وهذا أنسب لجو التسخير والمطاوعة المسيطر على الموقف.

٦. الفصل والوصل:

الوصل هو عطف بعض الجمل على بعض ،والفصل تركه. وهو أسلوب مهم في دلالته على المعاني التي يؤديها، حتى عدّه العلماء هو البلاغة نفسها[٣]. ولأهميته في الكلام فقد جاء بشكل واسع في القرآن الكريم.

وحين نتأمل هذه السورة نجد أن الوصل بحرف الواو قد جاء في الآيات الثلاثة الأولى منها _التي تصف يوم القيامة وأشراطه _ للدلالة على أن الصفات التي فيها متغايرة ، فالآية الأولى تصف حالة الأرض وهي تتزلزل وتتحرك حركة شديدة ،أما الآية الثانية فتصف حالتها وهي تخرج أثقالها وتتخلى عنها ، والآية الثالثة جاءت لوصف حالة الإنسان وهو يرى هذه المشاهد التي تحدث للأرض . ولهذا وجب ربط هذه الصفات المتغايرة بحرف الواو لما فيه من معنى المغايرة.

ثم ترك الوصل في الآيات الثلاثة التي بعدها وذلك "لأن ما بينها من ترابط قوي خفي مستور أقوى من الوصل الخارجي بالواو"[٤]، فالآية الرابعة جاءت جوابا للشرط الذي في بداية السورة ، والآية الخامسة معللة للآية الرابعة فالباء في﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ ﴾ سببية أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء الله لها.أما الآية السادسة﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ فهي بدل من الآية﴿ يَوْمَئِذٍ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٠٨.

(٢) التفسير البياني : ١ /٩٠.

(٣) الإيضاح : ١٤٩ .

(٤) الدراسة الأدبية، النظرية والتطبيق، نصوص قرآنية ،عبد السلام أحمد الراغب ، دار القلم العربي، سوريا _حلب ط١(٢٠٠٥م): ٦٥ .

تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ وقد بدأت بتوكيد لفظي لما فيها. فكان هذا الترابط بين الآيات مانعا من الوصل بينها لما فيها من اتصال معنوي .

ثمّ عاد الوصل مرة ثانية فجمع بين الآيتين الأخيرتين بحرف الواو للدلالة على المشاركة والمغايرة بينهما، فالآية السابعة تضمنت أعمال الخير ﴿ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ وتضمنت الآية الثامنة أعمال الشر﴿ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ،وقد اشتركت هذه الأعمال المتغايرة برؤية أصحابها لها يوم القيامة ،فناسب وصلها بحرف الواو لما فيه من معنى المشاركة والمغايرة.

ومما يثير الانتباه في هذه السورة هو العدول عن الوصل بالواو إلى الفاء بين الآيتين ﴿ لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ .....﴿٧﴾ ﴾مع أن الآية نفسها قد تكررت ألفاظها في الآية﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ..... ﴾ لكن الوصل فيها كان بالواو . وسبب هذا العدول؛ أن هذه الآية "تفريع على قوله﴿ لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ تفريع فذلكة"(١)،ومن معاني الفاء العاطفة التفريع ،فناسب الوصل بالفاء معنى الآية التي جاءت لتفريع الناس إلى فرعين عقب صدورهم أشتاتا.

٧. فواصل السورة:

إنّ مما يلفت النظر في فواصل هذه السورة أنها قد قسمت على ثلاثة مجموعات:

المجموعة الأولى: تضمنت الآيات الخمسة الأولى التي تصف حالة الأرض وما يعتريها من تغيير في يوم القيامة، وفواصل هذه الآيات على التوالي هي (زلزالها، أثقالها، مالها، أخبارها، لها) فانتهت هذه الفواصل بصوت الألف _وهو من أوضح الأصوات الإنسانية من حيث السمع_فاحتلت هذه الآيات المراكز العليا في الاستمرارية ودرجة الإسماع، لأن في الفاصلة تكمن موسيقى الآية وموسيقى السورة(٢). وعندما سبق صوت المد بصوت الهاء أشعر بنوع من الحيرة والخوف وطلب الاستعانة(٣)، فتحقق الغرض الأول من أغراض السورة وهو إثبات يوم البعث وما يعتري الناس فيه من الفزع.

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٩١ .

(٢) المقطع الصوتي وعروض الشعر العربي ،د.محمد عبد الزهرة الشريفي، مجلة اللغة العربية وآدابها ،الكوفة،العدد(٢)سنة (٢٠٠٢م) :١٧٧.

(٣) بنية السورة القرآنية الواحدة : ٢٣٨.

أما المجموعة الثانية: فقد ضمت آية واحدة فقط هي الآية السادسة التي وصفت حالة صدور الناس وحضورهم للحشر ﴿ لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ فانتهت بفاصلة منفردة هي صوت الميم الشفوي، لتدل على انتقال موضوع السورة من وصف حالة الأرض إلى وصف حالة الناس وهم يرون أعمالهم من خير وشر.

أما المجموعة الثالثة: التي ضمت الآيتين الأخيرتين ،فقد فصّلت القول في رؤية الأعمال التي قسمت قسمين﴿ خَيۡرًا يَرَهُۥ ..... شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ وانتهت بصوت الهاء الذي رسم صورة الطريق المسدود الذي انتهت عنده الأعمال(١)،فناسب هذا الانتهاء ما آل إليه الحال فكل شيء"مقيد في الصحف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمال الإنسان إلا سطرت"(٢).

Abstract

Azzalzalah sura presents a scene of the Judgment Day . Its technical figuration is observed clearly . This research shows the aesthetics of this figuration starting from the vocabulary . The research is divided into three parts :

The first : The technical and rhetorical use of the vocabularies of the sura.

The second : The technical figuration in the sura .

The third : The stylistic phenomena in the sura , like :

. Starting wittiness .

. The metaphorical predication.

. Repetition .

---

(١) التبصرة في القراءات ،أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي:منشورات معهد المخطوطات العربية ،الكويت ط١(١٩٨٥م):٣٨٧..

(٢) الإعجاز الصوتي في قصار السور :١٧ .